LAM
tırmaları
İstitüsü
2938
1 Ocak 1964

قدامة بن جعفر والنقد الأدبى

تأليف
دكتور بدوى طبانه
أستاذ البلاغة والنقد الأدبى المساعد
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

الطبعة الثانية

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقاً)

طبعت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بمطبعة مخيمر
سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م

وطبعت هذه الطبعة الثانية بمطبعة الرسالة
سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة الرسالة
شارع محمد ... ٣ عابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، ومسّت الحاجة إلى إعادة طبعه ، ليكون فى متناول الراغبين فى الاطلاع على مثل هذه الدراسة ، التى تتناول جانباً من أهمّ جوانب التفكير الفنى عند العرب .

وقد قرأ الذين أتيحت لهم فرصة الاطلاع على الطبعة الأولى ذلك المنهج السديد الذى سلكه قدامة لدراسة الشعر ونقده ، وما وضع من أسس يصلح أكثرها مقاييس لدراسة فنون الأدب بعامّة ونقدها ؛ لأنها فى الحقيقة لم تقتصر على فن الشعر ، بل تناولت أهم العناصر التى يقوم على أساسها العمل الأدبى ، سواء من ناحية الأفكار واختيارها وتنسيقها ، أو من ناحية أسلوب تأديتها ، والتأنق فى صوغها ، ليكون عملا فنّيًّا له اعتباره فى نظر رجال الفن من الأدباء والنقاد . كما قرءوا تلك الأفكار التى أثارها قدامة فى ذلك الزمن البعيد ، واهتدى فيها إلى آراء بدَتْ جِدّتها فى العصر الذى ظهرت فيه ، فى الوقت الذى تساير فيه أحدث الآراء ، ولا يزال كثير من الآراء والمقاييس التى بسطها قدامة تشغل بال المعاصرين من النقاد المشهود لهم بالفهم والتذوق لروح الأعمال الأدبية وطبيعة الأديب ، ووصلهما بالمجتمع والحياة الإنسانية .

إن قدامة فى تاريخ النقد الأدبى معدود فى مقدمة النقاد الموضوعيين ، وكتابه « نقد الشعر » هو الذى وضع أسس هذا النقد الموضوعى فى تاريخ النقد العربى ، وهو الذى أشار إلى المنافذ التى يستطيع الناقد المنصف أن يطل منها على ما يريد من الأعمال الأدبية ، ويضع حدًّا للإسراف فى الإدلاء بالأحكام التى تنبعث عن الذاتية والهوى ، ويحاول أن يجعل من النقد صناعة واضحة المعالم ، بينة الحدود .

وكانت ثقافة قدامة الواسعة العميقة ، كما كانت عقليته الناضجة ، هما السّر فى هذا اللون من النقد الذى اعتبر فى وقت ما جديداً ، وعدّ فى وقت ّما غريباً أيضاً ، ذلك لأن قدامة لم يجر فى ركب أولئك الذين عرف الناس أفكارهم فى الشعر والأدب ، ولم يعتمد فى آرائه الصائبة غالباً على ما كانت تلوكه الألسنة فى البيئة التى عاش فيها ، أو فيما قبلها ، كما كان ذلك شأن غيره من النقاد أو رواة النقد .

كما عالج قدامة كثيراً من مسائل النقد الكبرى التى يعنى بها النقد الأدبى المعاصر ، ومن بين هذه المسائل التى عنى بها مشكلة الفكرة الأدبية والقالب الفنى ، وما ينبغى أن يجتمع فى كل منهما ، وما ينبغى أن يتحاشى فى كل منهما ، حتى ينتج العمل الأدبى الممتاز الذى يزهى الأديب بنسبته إليه ، ويجد الناقد فيه ما يتطلبه من أسباب الإجادة والإتقان ، وما ينشده من المثل الفنية الرفيعة .

ومن تلك المسائل الكبرى التى يعنى بها النقد المعاصر أيضاً ، مسألة « حرية الأديب » فى التعبير عن عواطفه وأحاسيسه ومشاعره ، وصدقه فى وصف تجاربه ، وهى مسألة كان قدامة أول ناقد عالجها فى تاريخ النقد العربى ، وقال رأيه فيها بصراحة ووضوح ، وغير ذلك كثير من أصول النقد التى بسطناها فى كتابنا هذا .

وكل ذلك يعتمد على أساس سليم ، وأفكار واضحة ، ومنهج علمى منظم سديد . وكان هذا هو السبب فى مظاهر العناية بقدامة فى السنوات الأخيرة ، ونحن نجمع شتات تراثنا ، وننفض عنه غبار الأحداث التى ألـمّت بأمتنا العزيزة ، ونقدم منه

زاداً للقوميّة العربيّة الصاعدة فى عهد نهضتها ووحدتها . وبدأ تقدير الجهود التى بذلها قدامة فى خدمة النقد الأدبى ، وتوالت الإشادة به ، والانتفاع بآرائه ، والإفادة من هذا الكتاب الذى أقدّم اليوم طبعته الثانية ، وتلك الإفادة التى ظهرت آثارها فى جُلّ ما كتب فى النقد أو تاريخه ، بعد تأليف هذا الكتاب ونشره ، باللغة العربية ، وما كتب بلغات أخرى ، فى رسائل جامعية ، أو فى كتب منشورة .

وهى ظاهرة نغتبط بها ، لأنها تجعلنا نشعر أننا قدمنا فى هذا المضمار شيئاً ذا بال ، وأننا أثرنا أفكاراً جديرة بالإثارة ، ونبّهنا إلى كنز من كنوزنا المخبوءة . غير أن بعض الذين نهلوا من دراستنا ، وأفادوا من جهودنا المفصلة فى هذا الكتاب ، عزّ عليهم أن يعترفوا بأنهم مدينون لهذا الجهد ، وهو اعتراف لا يغض من شأنهم ، ولا يقلّل من أهمية دراساتهم ، بل إنهم على العكس من ذلك كانوا يقدمون بهذا الاعتراف دليلا على أمانتهم العلمية ، وتحرّى الصدق والإنصاف فيما يكتبون ويؤلفون ، وهو جُلّ ما نطلبه من هذه الجهود التى نبذلها راضين فى سبيل ما نؤمن به من عظمة هذه الأمة ، وسعة باعها فى البحث والدرس .

ولكنا نجد فى جهة أخرى عالماً من الأمانة والإنصاف ، ظهرت آثاره فى طبعة أنيقة محققة بمطبعة بريل بمدينة ليدن سنة ونشرت فى ١٩٥٦ لكتاب قدامة « نقد الشعر » قام عليها أحد فضلاء المستشرقين ، وهو الدكتور س . ا . بونيبا كر S. A. Bonebakker الذى كتب لهذه الطبعة مقدمة وجيزة باللغة العربية ، وذكر فيها أنه اعتمد على كتابى هذا « قدامة بن جعفر والنقد الأدبى » . وكتب دراسة أخرى مفصلة فى نحو ثمانين صفحة باللغة الانجليزية ، تناول فيها جهودنا فى هذا الكتاب مشيداً بها ، ومُنَبِّهاً إلى خلاصة هذه الجهود التى بذلناها فى الكشف

عن حياة قدامة وتقدير نقده ، ورأى أنها قد تكون بعيدة المنال على القارئ الأوربي ، وكان فى هذا الصنيع ما فيه من دلالة على تأصل الروح العلمية الصحيحة التى تنشد الحق ، وتؤثر الصدق .

تلك بعض الأفكار التى عنّت لى وأنا أقدم الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذى أعتزّ به بقدر ما بذلتُ فيه من جهد ، وأنا أسأل الله أن يديم به النفع ، وأن يجعله خالصاً لوجه الفكرة العربية التى نؤمن بها ونعمل لها .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

مصر الجديدة { ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ
سبتمبر سنة ١٩٥٨ م

بدوى أحمد طبانة

تقديم

بقلم العالم الجليل الأستاذ أحمد الشايب

— ١ —

نحن الآن فى « دار العلوم » وقد دار الزمان دورته ، وصارت هذه الدار المباركة إحدى كليات الجامعة المصرية ؛ تأخذ برسومها ، وتتمثّل مناهجها وتحاول — كغيرها — أن تؤدى رسالتها ، وهى رسالة ، مصرية ، إسلامية ، إنسانية ، هى رسالة مصرية لأن « كلية دار العلوم الجامعية » تقوم على أرض مصرية وتستمد كيانها من هذا الوطن العزيز ، فلا بد أن تعنى بحضارته ، وتصل بين قديمه وحديثه ، وهى إسلامية لأن مصر الآن مستقر التراث الإسلامى ، لا من حيث مادتـه ومصادره فقط ، بل من حيث تمثُّـله والقوامةُ عليه ، والأخذ بأسبابه ومقوّماته ، وهى آخر الأمر رسالة إنسانية لأن الجامعة المصرية — ومنها كلية دار العلوم — جزء من هذه الجامعة العالمية التى تخدم الحضارة الإنسانية فى جميع عناصرها ، وبيئاتها ، وعصورها ، ومعنى ذلك كله أن كلية دار العلوم تقدمت لتتحمل مسئوليتها فى هذا المجال ، أو يجب عليها أن تستشعر هذه المسئولية الخطيرة ، وأن تحرص على تحملها وتحقيق أهدافها مادامت قد أخذت هذا الوضع الجامعى الحديث .

— ٢ —

وأقول : هذا الوضع الجامعى الحديث ، لأن دار العلوم كانت من قبل مدرسة عالية تُعنى ، أكثر ما تُعنى ، بتخريج المدرسين للأدب العربى والشريعة الإسلامية ، فى معاهد الحكومة ومدارسها ، وتتوسل إلى ذلك بتيسير هذه المواد ومناهجها ، فيعكف أساتذتها وطلابها على استخراج المعارف من مصادرها القديمة ، وتنسيقها ، وعرضها فى أسلوب سهل ، واضح ، تطبيقى ، يستسيغه الطلاب ، ويستوعبون ما يتضمنه من مواد ، ثم يتقدمون إلى تلاميذهم بصورة أكثر يسراً ، وأسهل عرضاً ، ومعنى ذلك أن دار العلوم كانت فى مهنتها ، تتجه من أعلى إلى أدنى ، ومن العُسر إلى اليسر ، واستطاعت بذلك أن تخدم الشرق العربى خدمات تستعصى على النسيان أو الإنكار .

أما الآن ، فقد انعكست الآية ، ووجب على « كلية دار العلوم » أن تتجه من أدنى إلى أعلى ، وأن تسلك سبيل التعسير لا التيسير ، وأن تجعل هدفها تخريج الأساتذة لا المدرسين ، وإعداد الباحثين لا الموظفين ، وإنما أعنى أن تشق على نفسها ، فتدرس المصادر الأصيلة للمواد ، بعد أن تحققها وتنشرها نشراً علمياً ، ثم تغرق فى نقدها ، وتصبر على متونها وشروحها وحواشيها لعلها تجد — وستجد حتماً — ما يدعو إلى تعديلها ، أو تهذيبها ، أو نقضها أحياناً . وهى ، إذ تفعل ذلك ، مضطرة أن تصطنع مناهج البحث العلمى وهى مناهج عسيرة ، منوعة ، تنصب على الجوانب الفنية ، والتاريخية ، والنفسية وتتطلب أناة وتوثيقاً ، وتنتهى بلا شك إلى عرض المواد عرضاً جديداً ، أو إلى وضعها من جديد .

— ٣ —

بهذا الروح ، وذلك النهج ، تستقبل كلية دار العلوم حياتها الجامعية وقد استقبلتها منذ حين ، فوجدت تراثاً إسلامياً متراكماً جليلاً ، وحضارة مديدة العهد ، كثيرة الصور ، مشتجرة الفروع ، وتبينت أن هذه الحضارة لابد أن تدرس من جديد ، وأن تدرس دراسة طويلة ، عريضة ، عميقة ، وعليها أن تتوسل بذلك القديم إلى الجديد ، فتعرف ما تأخذ وما تدع وما تضيف وما تبتكر ، لتصل الماضى بالمستقبل ، وتكون لها شخصيتها المتميزة بين كليات الجامعة المصرية أو بين المعاهد العلمية ، ولكم رجوت — ولا زلت أرجو — أن تنشأ فى كلية دار العلوم عدة أقسام تتقاسم فيما بينها مواد هذه الحضارة الإسلامية ليدرس كل قسم جانباً منها دراسة متخصصة مثمرة ، ثم تتكوّن من هذه الدراسات وحدة علمية قوية متماسكة ، فقسم للغة العربية وآدابها ، وثان للشريعة الإسلامية ، وثالث للتاريخ الإسلامى ، ورابع للفلسفة الإسلامية ، وخامس للغات الشرقية من إسلامية وسامية ، وهكذا بحيث تستوعب الأقسام عناصر حضارتنا ومقوماتها ، وتصبح كليتنا بذلك مقر هذه الدراسات الفذ ، ومقصد طلابها من أنحاء الأرض . وحتى يتم ذلك فى دار العلوم أو فى غيرها ، وبهذا الوضع أو بسواه ، نرى أنه تبين لكلية دار العلوم أن عليها استئناف الدرس بأفق واسع وأمل وثاب وجهد دائب . عليها أن تعيد النظر فى البلاغة والنقد الأدبى ، فتدرسهما درساً تاريخياً ، فنياً ، مقارناً . ولعلها تنتهى من ذلك إلى وضع هذين العلمين وضعاً جديداً يريح الدارسين من اضطراب القديم وتركيبه ، ويرشدهم إلى قدر الأدب وتحليله وتفسيره ، ويصل بين هذين العلمين وبين ما يسندهما من علوم النفس ، والجمال ، والاجتماع ، ثم الفلسفة . كما عليها أن تطيل الوقوف عند النصوص الأدبية فتحققها ، وتنشرها مشروحة ، وتعرضها فى نسق